



من التصور التداولي الخطي إلى التصور التداولي المدمج قراءة في مسألة: اللغة وفعل التوجيه،
The pragmatic analysis, from a linear to an integrated conception
A reading in the concept of language and orientation.

د. كمال بخوش

جامعة يحيى فارس- المدينة (الجزائر)

Kamel.bekhouche@yahoo.fr

المعلومات المقال	الملخص:
تاريخ الارسال: 2021/05/27 تاريخ القبول: 2021/06/10	عرفت مقارنة اللغة من المنظور التداولي تصورات عدة، أهمها التصور الخطي الذي يقارب اللغة انطلاقا من تسلسل مبني على تداعي الممارسة : التركيب أولا ثم الدلالة ثانيا ، ثم يتكئ عليهما التحليل التداولي في مرحلة لاحقة ثالثا. في المقابل هناك تصور مدمج ذاع من خلال أعمال الباحثين جون كلود أنسكومبر (J. C. Anscombre)، وأوزوالد ديكرود (O. Ducrot). هذا الأخير يرى أن التحليل التداولي يمكن ممارسته إجرائيا في المستوى الدلالي ذاته، بناء على تصور لا صدقي للدلالة، وهو ما يسمح من تحديد ما للقول من قيمة وعمل انطلاقا من القيم التداولية المدمجة في القيم الدلالية. هذا التصور المدمج يتأسس على مفهوم مركزي هو مفهوم التوجيه ، وهو الذي سنحاول مقارنته مفهوما انطلاقا من خلفيته المعرفية.
الكلمات المفتاحية: ✓ تداولية خطية: ✓ تداولية مدمجة: ✓ دلالة: ✓ معنى: ✓ توجيه:	
Article info Received 2021/05/27 Accepted 2021/06/10	Abstract : <i>Pragmatics deals with language from different conceptions; the most important one is the linear conception which studies language grammatically and then semantically, and in a third stage it combines between both of them in a pragmatic analysis. On the other hand, O. Ducrot and A. Anscombre analyze language pragmatically through a study of meaning based on its non truthful conception , the thing which allows to determine the values of the utterance. This integrated tendency in pragmatics is based on a central concept, which is orientation. In this paper, we try to approach this concept in a theoretical study focusing on its cognitive background and procedural dimensions.</i>
Keywords: ✓ linear pragmatics: ✓ integrated pragmatics: ✓ semantics: ✓ meaning: ✓ orientation:	

مقدمة:

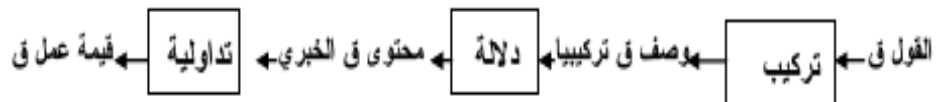
من المعروف أن الدرس اللساني منذ ستينيات القرن الماضي شهد تحولات كبرى وهامة، لعل أهمها هو بداية الاهتمام بالبعد التواصل للغة، وهذا بالالتفات لدراسة الكلام كمقابل للغة باعتبارها بنية ونظاما، وهو التحول الذي حاول أن يتجاوز الرؤية البنوية للغة - وهي النظرة التي يمثلها الاتجاه البنوي، وكذا التوليدي والتحويلي - إلى الأبعاد المرتبطة بالاستعمال والحدود المؤطرة له، وهو ما تمثله الدراسات التداولية .

ومن الذائع كذلك أن التوجه التداولي في البحث اللغوي، عرف الإرهاصات الأولى في الطرح - كما هو معروف - مع محاولة الفيلسوف الأمريكي شارلز موريس (Charles Morris) سنة 1938، الذي ميز بين علم التركيب وعلم الدلالة والتداولية، وهذا بحسب زاوية النظر إلى العلامة اللغوية. فعلم التراكيب عنده هو دراسة العلاقة بين العلامات اللغوية، وعلم الدلالة هو دراسة العلاقة بين العلامات اللغوية وما تحيل عليه (مراجعها)، أما التداولية فهي دراسة العلاقة بين العلامات اللغوية ومستخدميها¹، هذه الأخيرة انتهت إلى نماذج بحثية عديدة، أهمها ما يعرف في أدبيات الدرس اللساني المعاصر النموذج التداولي الخطي، والنموذج التداولي المدمج. فما مفهوم التداولية الخطية، وما مفهوم التداولية المدمجة ؟ وما هي مبررات الانتقال من التصور الخطي إلى التصور المدمج؟

1- التصور التداولي الخطي: (Pragmatique Linéaire):

ينطلق هذا التصور من فكرة مفادها أن: "المعالجة التركيبية تسبق المعالجة الدلالية، التي تسبق بدورها المعالجة التداولية، وبعبارة أخرى تمثل مخرجات التركيب مدخلات للدلالة، وتمثل مخرجات الدلالة مدخلات للتداولية، أما مخرجات التداولية فتتصف ما للقول من قيمة وعمل"².

يوصف هذا الترتيب بالخطي لأن ترتيب المعالجة شيء أساسي فيه، كما يوصف بالمنظومي لأن كل مجال قائم بذاته مستقل وفق ما جاء به جاك موشلر (J.Moeschler) في القاموس الموسوعي للتداولية.



¹ جاك موشلر وآن روبول: التداولية اليوم (علم جديد في التواصل) تر: سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، المنظمة العربية للترجمة، ط1 (2003)، ص29.

² جاك موشلر، وآن روبول: القاموس الموسوعي للتداولية، تر: مجموعة من الأساتذة بإشراف عز الدين الجذوب، المركز الوطني للترجمة تونس 2010. ص 41.

إنّ الوصف " التركيبي ل (ق) هو نتاج المعالجة التركيبية (...)، ويتحدد المستوى الخبري بشروط الصدق المسندة إلى القضية التي يعبر عنها (ق)، وأخيرا مفاد قيمة(ق)العملية هو إسناد قوة متضمنة في القول إلى (ق)، فكل قول يوافقه إنجاز عمل لغوي"¹.

ولتوضيح هذا نأخذ على سبيل المثال تحليل القول التالي: أنا مسلم.

● **التحليل التركيبي:** يمكن أن يحلل القول تركيبيا على أساس نسبة المحمول/ الخبر: (مسلم) إلى الموضوع/ المبتدأ (أنا)، فتستخلص مدى استقامة هذه الجملة من حيث البنية بناء على رصد العلاقات الداخلية بين مكوناتها، وهكذا .

● **التحليل الدلالي :** يقوم التحليل الدلالي على ضبط الحدود المكونة للقضية المعبر عنها في القول، وتمييز الإحالة من الإسناد، ثم إسناد قيمة الصدق أو الكذب إلى القضية، فهذا القول يكون صادقا إذا وفقط إذا كان المتكلم في الواقع (مُسْلِما) قولا وعملا بالدين الإسلامي، فصدق القول هو مطابقته لحالة الأشياء في الكون، والكذب هو انعدام تلك المطابقة.

● **التحليل التداولي :** يحلل القول تداوليا على أساس النشاط التخاطبي الذي قام به المتكلم، ويمكن على هذا الأساس طرح مجموعة من الأسئلة منها:

- ما الذي حمل المتكلم في هذا المقام / مقام محدد جدا على قول تلك الجملة ؟
- هل هو يتكلم مخبرا / مجيبا عن سؤال مفترض؟
- هل هو يتكلم مثبتا (فعل الإثبات) لدحض شك ما ؟
- هل هو يتكلم معترضا (الاعتراض على شيء ما) ؟
- ماذا ينتظر من مخاطبه (قصده من القول / رد الفعل المنتظر من المتلقي) ؟

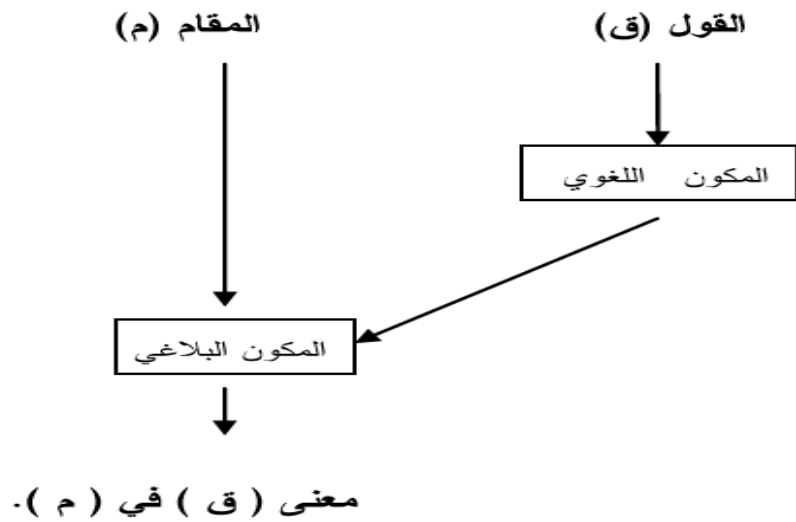
2-التصور التداولي المدمج: (Pragmatique Intégrée):

وفق تصور جاك موشلر (J.Moeschler) فإنه في التداولية المدمجة " أصبح التصور المنطقي القائم على خطية العلاقة بين مستويات التحليل اللغوي متجاوزا بفضل تداوليات مدمجة (Pragmatique Intégrée) تقوم

¹ جاك موشلر، وآن روبول: القاموس الموسوعي للتداولية، ص 42.

على البحث الذي ينسحب على الجوانب التداولية التي يمكن أن تسجل في بنية اللغة وعلى البحث في دلالتها لاستخراج الأشكال اللغوية ذات القيمة التداولية لضبط شروطها الاستعمالية¹.

ففي هذا الإطار التداولي المدمج، لا وجود لمعالجة خطية للقول، بل يوجد جمع بين المعلومات اللغوية (المنتمية إلى المكون اللغوي) والمعلومات غير اللغوية (المنتمية إلى المكون البلاغي) ... وينتج عن الجمع بين دلالة الجملة والمعلومات غير اللغوية معنى القول² وهو ما يوضحه المخطط التالي³:



إنّ التداولية المدمجة تقوم على تصورين⁴:

- **التصور الأول:** هو الدفاع عن تصور لا وصفي للغة، والذي مفاده أن الأقوال لا تبلغ حالات أشياء في الكون (الوظيفة التمثيلية) بل تبلغ أعمالاً لغوية (من قبيل الأمر والوعد، والتمني والإخبار والحجاج... إلخ)، وبهذا تقابل الأطروحات الوصفية الأطروحات اللاوصفية.

- **التصور الثاني:** هو تصوّر الإحالة الانعكاسية (أو الإحالة الذاتية) للمعنى وهي ما يمكن تلخيصه في الصيغة التالية: إنّ معنى قول ما هو صورة من عملية إلقائه، وتأويل هذه الصيغة هو: أن نفهم قولاً ما هو أن نفهم دواعي إلقائه، فيكون وصف معنى قول ما هو وصف لنمط العمل الذي من المفروض أن ينجزه القول.

- **مثال:**

أ) هل تريد فنجاناً من القهوة؟

¹ عبد السلام إسماعيلي علوي: ما التداوليات؟ (ضمن كتاب التداوليات - علم استعمال اللغة)، عالم الكتب الحديث، الأردن (2011)، ص 23.

² جاك موشر وآن روبول: القاموس الموسوعي للتداولية، ص 42.

³ جاك موشر: المرجع السابق، ص 43.

⁴ جاك موشر وآن روبول: المرجع السابق، ص 35.

ب) أريد النوم.

إذا نظرنا لإجابة (ب) عن سؤال (أ)، نجد أن منطوق العبارة حتى وإن كان يصف وضعاً بصيغة إخبارية، إلا أن مقصودة هو التعبير عن حالة الرفض (وهو هنا عدم الرغبة في شرب القهوة)، بناءً على الخلفية المعرفية المشتركة بين (أ) و (ب) والتي على أساسها تم فعل التواصل بين الطرفين، وهي الخلفية التي تقول: إن القهوة تذهب النوم.

ومن هذا المنظور فإنَّ القِيَمَ الدلالية من المنظور التداولي المدمج، تتجاوز القيم الوصفية التي تحتكم إلى قيم الصدق والصدق، إلى القيم الإنجازية التي تحتكم إلى معياري النجاح أو الفشل، انطلاقاً من التوجيهات المسجلة في بنية اللغة ذاتها.

2-1- مفهوم التوجيه:

لقد ارتبط مفهوم التوجيه أساساً في الدرس اللساني الغربي بأعمال اللساني الفرنسي أوزوالد ديكرول (O. Ducrot) والذي ارتكز أساساً على الاتكاء أكثر على الوصف الدلالي للملفوظات، محاولاً تفسير بعض الوقائع الدلالية (الصدقية) باعتبارها نتائج لدواعي حجاجية¹، وهو تصوّر ينطلق من بحث علاقة بنية اللغة وأوجه استعمالها البلاغية الممكنة² هذا على أساس أن تأويل الأقوال وفهم المقاصد يبدأ من تحديد دلالة الجملة التي تعتبر كيانه لغوياً مجرداً، في مقابل القول الذي يعتبر استعمالاً مخصوصاً للجملة و إنجازاً لها (الآن وهنا).

إن هذا الطرح يسمح بالوقوف عند حدود دلالة الخطاب، انطلاقاً من المظاهر اللغوية القابلة للقراءة على أساس التوجيهات والتعليمات التي توفرها أبنية اللغة للقائل، حتى يوجه خطابه وجهة ما³، فالرهان في التداولية المدمجة، يرتكز على إدماج الأبعاد التداولية في صميم الدراسة الدلالية اللسانية، ومن ثم يتعيّن على الدارس النظر إلى الملفوظ — ما دام يمثل معطى تداولياً — كعنصر ينتمي إلى نسق اللغة وبنيتها.

مثال:

أ) هل يمكن بناء المسجد هنا ؟

¹ ينظر جاك موشلر وأن روبول: القاموس الموسوعي للتداولية، ص 229-230.

² للتوسع أكثر في هذه القضية، ينظر كمال بخوش ، الأسس المعرفية لمقاربة النصوص الحجاجية، عرض مفهومي لمصطلحي (الحجاج اللغوي) والعامل الحجاجي، مجلة تعليميات العدد 09، ص 329-352.

³ شكري المبخوت: نظرية الحجاج في اللغة (ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم)، منشورات كلية الآداب جامعة منوبة تونس (د.ت.) ص 359.

ب) هذا مكان جيد لكنه بعيد.

إن إجابة (ب) عن سؤال (أ) يتضمن توجيهها حججيا بالرفض، هذا التوجيه الحججى محقق بواسطة أداة الاستدراك (لكن)، وهو ما يعني أن المتكلم قام بتوجيه المتلقي إلى حكم الرفض، وهي انطلاقا من القيمة الدلالية لأداة الاستدراك (لكن)، وهي الأداة المتضمنة لقيمة تداولية تترتب عليها قيمة عملية.

1- التوجيه الحججى Orientation argumentative :

إنّ نظرية الحجاج في اللغة هي نظرية في الدلالة ترفض تصور الدلالة باعتبارها تحتكم لمطابقة الواقع، "وذلك لفائدة تصوّر يكاد يكون فضائيا للمعنى باعتبار أن اتجاه ما يقوله الملفوظ (م1) (وكذلك المتلفظ باعتباره متلفظا) هو النتيجة (ن1) التي وُجّه إليها هذا الملفوظ"¹. إننا نتكلم هنا عن وجهة محددة للملفوظ.

جاء في القاموس الموسوعي للتداولية: "إنّ الوجهة الحججى هي الاتجاه الذي [يعيّن] للقول قصد الوصول إلى هذا القسم من الاستنتاجات أو إلى غيره، إن الوجهة الحججى هي خاصية من خصائص الجملة موضوع أداء القول، وهي التي تحدّد معنى القول"²، فمن هذه الزاوية فإنّ القيمة الحججى للكلمة هي الوجهة التي تحدّد لها للخطاب، ويطابق التوجيه الحججى للكلمة معناها (نفسه)، فأن تدل كلمة فإنها توجّه.

1-1- تصور ديكر (O. Ducrot) للتوجيه الحججى:

يقول ديكر: " لكي يقدّم (ق1) كحجة تفضي و تقود إلى التسليم ب (ق2) لا يكفي بذلك أن يكون (ق1) من الحجج التي تضمن الإذعان ب (ق2)، وإنما البنية اللغوية لـ (ق1) يجب أن تنهض بشروط من شأنها أن تؤهله لكي يكون حجة تقود إلى (ق2)"³. إننا نتكلم هنا عن حركة من وضع أول (معلوم) إلى وضع ثان (مستهدف)، قد يكون معلوما (صريحا) أو غير معلوم (ضمني)، وهو النتيجة التي يروم المتكلم استهداف المتلقي بها، فـ " اللغة حجاج محض، وإن الحجاج توجيه صرف"⁴.

¹ ينظر باتريك شارودو ودومنيك منغون: معجم تحليل الخطاب، تر: عبد القادر المهيري و حمادي صمود، المركز الوطني للترجمة تونس 2008، ص 399.

² جاك موشلر: القاموس الموسوعي للتداولية، ص 337.

³ J. C. Anscombe et O. Ducrot : L'argumentation dans la langue, p 81.

⁴ عز الدين الناجح: العوامل الحججى في اللغة العربية، مكتبة علاء الدين صفاقس، تونس 2011، ص 31.

3-1-2- التوجيه الحجاجي و الوصف:

إن مسألة التوجيه - وإن كانت مرتبطة بأدوات لغوية محققة لها - فإنها يمكن أن تتحقق كذلك بواسطة الوصف، كون فعل الوصف في حد ذاته يمكن أن ينتج عنه حصر وتسييج للقيم الحجاجية، إذ "يردُّ التوجيه التقويمي للملفوظ الوصفي إلى المعجم المستخدم في تعيين خاصيات الموصوف، فقد يكون مشحونا قيميا، فيقتضي حكما معياريا أخلاقيا أو جماليا، فيكشف بالتالي ذاتية الوصف وموقفه"¹. فالتوجيه الحجاجي يمثّل جانب الإكراه في توظيف اللغة واستخداماتها الممكنة، ويمكن من التوصل إلى **قصد المتكلم** بشكل دقيق ومباشر، كونه فعالية مهمة محققة لنجاعة التواصل برسم حدود التأويل الدقيق.

لنأخذ النص التالي لنبيّن قدرة الوصف على فعل التوجيه، وهو عبارة عن حوار جرى بين أبي الأسود الدؤلي وبين امرأته في ابن كان لها منه، وأراد أخذه منها، فسارا إلى زياد وهو والي البصرة حينئذ:²

"قالت المرأة: أصلح الله الأمير، هذا ابني كان بطني وعاءه، وحجري فناءه وثديي سقائه، أكلوه إذا نام، وأحفظه إذا قام، فلم أزل بذلك سبعة أعوام، حتى إذا استوفى فصاله، وكملت خصاله واستوعكت أوصاله وأملت نفعه، ورجوت دفعه أراد أن يأخذه مني كرها، فأدني أيها الأمير، فقد رام قهري، وأراد قسري. فقال أبو الأسود الدؤلي: أصلحك الله، هذا ابني حملته قبل أن تحمله، ووضعت قبل أن تضعه، وأنا أقوم عليه في أدبه وأنظره في أوده وأمنحه علمي، وألهمه حلمي حتى يكمل عقله ويستحكم فتله. فقالت المرأة: صدق أصلحك الله، حملة خفّا وحملته ثقلا، ووضعه شهوة ووضعت كرها. فقال له زياد: أردد على المرأة ولدها فهي أحق به منك ودعني من سجعك. أو قال إنها امرأة عاقلة يا أبا الأسود، فأدفع ابنها إليها، فأخلق أن تحسن أدبه".

إن الوصف الذي قدمته المرأة لحالها مع ما كان لها من ابنها أمام زياد والي البصرة مشحون قيميا بمفردات تسييج الحال الذي هي فيه والأمل الذي ترجوه، وفي نفس الوقت توجه المتلقي بالحكم لصالحها، فكانت حجتها أقوى وأكثر ثقلا بناء على قوة وصفها جميل نسجها للكلام، وهذا إذا ما قارناه بالوصف الذي قدمه أبو الأسود الدؤلي وهو يناظرها في ديوان الوالي.

فللوصف قوته الحجاجية والتوجيهية التي تجعل متلقي الخطاب خاضعا لإكراهات اللغة وسلطانها، فاللغة هي التي تشكل تصورات الفرد وتمثله للموقف لما لها قوة تأثيرية رسم المشهد في ذهنه وما يترتب عليه من أحكام قيمية محددة.

¹ ينظر محمد القاضي وآخرون: معجم السرديات، دار محمد علي للنشر، تونس 2010، ص 125.

² نقلا عن: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية)، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط 1 (2004)، ص 498.

خاتمة:

من خلال هذا العرض الموجز لمسألة التداولية المدمجة وما ارتبط من مفهوم فعل التوجيه انطلاقاً من تصور لا صدقي للدلالة نخلص إلى ما يلي:

- أن البنية اللغوية تقدم إرشادات للمتلقي حول التطورات الممكنة التي يمكن أن تفضي إليها عملية قول جملة/ التطورات في الاتجاه السالب، التطورات الممتنعة / (حصر القول).
- أن البنية اللغوية تقدم إرشادات حول طاقتها الحجاجية.
- أن البنية اللغوية تقدم إرشادات حول وجهات نظر القائلين المعبر عنها في الجملة.

المصادر والمراجع:

1. باتريك شارودو ودومنيك منغنو: معجم تحليل الخطاب، تر: عبد القادر المهيري وحمادي صمود، المركز الوطني للترجمة تونس 2008.
2. جاك موشلر وآن روبول: التداولية اليوم (علم جديد في التواصل) تر: سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، المنظمة العربية للترجمة، ط1 (2003).
3. جاك موشلر، وآن روبول: القاموس الموسوعي للتداولية، تر: مجموعة من الأساتذة بإشراف عز الدين المجذوب، المركز الوطني للترجمة، تونس 2010.
4. كمال بخوش، الأسس المعرفية لمقاربة النصوص الحجاجية، عرض مفهومي لمصطلحي (الحجاج اللغوي) والعامل الحجاجي، مجلة تعليميات، تصدر عن مخبر تعليمية اللغة والنصوص، جامعة المدية، العدد 09، ص 329-352.
5. عبد السلام إسماعيلي علوي: ما التداوليات ؟ (ضمن كتاب التداوليات - علم استعمال اللغة)، عالم الكتب الحديث، الأردن 2011.
6. شكري المبخوت: نظرية الحجاج في اللغة (ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم)، منشورات كلية الآداب جامعة منوبة تونس (د.ت).
7. محمد القاضي و آخرون: معجم السرديات، دار محمد علي للنشر، تونس 2010.
8. عز الدين الناجح: العوامل الحجاجية في اللغة العربية، مكتبة علاء الدين صفاقس، تونس 2011.
9. عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب (مقارنة لغوية تداولية)، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط1 (2004).
10. J. C. Anscombe et O. Ducrot: L'argumentation dans la Langue, pierre mardaga, (1983).